## مفاهيم في انثروبولوجيا الاثنيات

### أولاً: الطائفة

عرّف قاموس اوكسفورد الطائفة بأنها "جماعة من الناس يؤمنون بمعتقدات دينية مشتركة او جماعات لها آراء تختلف عن آراء مجتمعهم الاكبر". كما عرفت محكمة العدل الدولية الطائفة في قرارها رقم 17الصادر في (1930/7/31) كما يأتي:

1- "الطائفة هي مجموعة منظمة تقيم في منطقة جغرافية محددة، لها عاداتها وتقاليدها وثقافتها وبنيتها الداخلية، يجمع بين افرادها روابط متينة خاصة، يتحدون فيما بينهم ويشاركون في حياة الجماعة".

2- "الطائفة هي جماعة من الاشخاص يعيشون في بلدٍ او محلة معينة وينتمون الى عرق او ديانة او لغة او تقاليد خاصة بهم، ومتحدين بواسطة العرق والديانة واللغة والتقاليد في شعور بالتعاضد، بهدف المحافظة على تقاليدهم وعبادتهم، وضمان تعليم اولادهم وفق تطلعاتهم".

3- الطائفة تمتاز بخصوصياتها وبالعلاقات المجتمعية التي توحد اعضاءها والخصوصيات هي في أساس تكوين الطائفة. وهي التي تمنحها طابعاً وتبرز شخصيتها.

فالطائفة هي جماعة يرتبط اعضاؤها بعضهم ببعض بشعور عميق بالمشاركة ضمن بنية تنظيمية ثقافية واجتماعية مشتركة. جماعة مؤمنة بأفكار دينية خاصة بها تتميز بها عن الاخرين، وتفترض وجود شعور بالتعاون والتعاضد بين افرادها.

### ثانياً: المذهب

هو فرع من الطائفة، أي أصغر منها حيث تنقسم الطائفة أحياناً وتتفرع الى عدة مذاهب، نتيجة الاختلاف في الآراء والاجتهادات الفقهية، من خلال اتباع احدى الشخصيات الدينية المرموقة في الطائفة التي قد تكون ساهمت بتأسيس مذهب معين. وهذا ما ينطبق على المذاهب الاسلامية (السنة والشيعة: شافعي- مالكي- حنفي- حنبلي-جعفري- اثنا عشري- علوي- اسماعيلي، زيدي) وعند المذاهب المسيحية (موازنة- ارثوذكس- كاثوليك- انجيلي- لاتيني...) والمذهب ليس ديناً خاصاً إنما هو فلسفة ورؤية خاصة لهذا الدين من وجهة نظر خاصة، وقد تكون نظرية متكاملة للدين او الحياة والكون أحياناً أخرى. وكل مذهب له انصاره واتباعه، كما للطوائف من يؤمن بها ويتعصب لها.

**ثالثاً: الأقلية**

لقد أعطت محكمة العدل الدولية صفة الاقلية (minority) "للأشخاص الذين يختلفون عن أكثرية السكان بعرقهم وديانتهم ولغتهم".

وكلمة أقلية تشمل فقط الجماعات غير المهيمنة سكانياً (مهيمن عليها) والتي تمتلك تقاليد اثنية ودينية ولغوية، وخصائص تميزها بوضوح عن باقي السكان وتنوي الجماعة المحافظة عليها. أي يجب أن تكون وتبقى الاقلية جماعة مميزة داخل شعب ما، أي ذات ثقل سكاني كافٍ لتشكيل مجتمع خاص بها، لها عادات وتقاليد مختلفة ومختصة بها.

ويجب ان تضم هذه الاقليات عدداً كافياً من الافراد يمكنها من تنمية هذه الخصائص.

وعرف (بيار روندو) الاقليات بأنها "جماعات بشرية تختلف (باللغة والدين والعرق والتقاليد والنظام الاجتماعي، والشعور الوطني) عن الوسط البشري الذي تعيش فيه وتشعر هي ويشعر غيرها بدونيتها بسبب قلّة عددها".

وشدد (G. A. PORDEA) على العنصر القومي، فاعتبر الاقلية "قومية منزوعة السيادة لأسباب سياسية" فالعنصر القومي هو ميزة الاقلية الاساسية التي يطلق عليها تسمية القومية او الاثنية".

إن مفهوم الاقلية ليس مفهوماً حقوقياً، إنما هو مفهوم سوسيولوجي سياسي معقد.

والاقلية قد تكون اقلية: دينية، لغوية، قومية، اثنية، عرقية، ثقافية.

وإن مفهوم الاقلية يرتكز على أربعة عناصر هي:

1- العنصر الطائفي (نفس الطائفة) والخصائص المشتركة هي أساس التلاحم والتمايز عن بقية المجتمع الوطني.

2- العنصر النوعي (تشكل كمية وحجم وازن ولها عدد معتبر داخل الوطن (كتلة كبيرة).

3- العنصر النفسي: يجب أن تعي وجودها كأقلية وأن تعاملها الاكثرية على هذا الاساس.

4- عنصر القمع والحرمان من الحقوق (إقصاء، استبعاد، تهميش).

**رابعاً: القومية**

تنحدر كلمة قومية من قوم، وهم مجموعة من البشر لهم خصائص مشتركة قد تكون (لغوية، دينية، جغرافية، عرقية...).

القومية هي الشعور بالانتماء الى امة لها لغة واحدة ومصلحة مشتركة وتاريخ واحد وآمال وآلام مشتركة، تتحد فيها الجماعة لتحقيق مهمات تاريخية يأتي في مقدمتها التحرر بكافة أشكاله، والاستقلال الوطني الكامل، والوحدة الشاملة، والبناء الاجتماعي لمصلحة افراد هذه الامة، يكون تطورها ذا بعد انساني لا عرقي ولا طائفي، على أساس ديمقراطي.

جاء تعريف القومية (nation) في قاموس اوكسفورد بأنها "جماعة كبيرة من الناس، لهم تاريخ وثقافة ولغة مشتركة ويعيشون في إقليم خاص تحت سلطة دولة واحدة".

*القومية تختلف عن الوطنية. فالوطنية تقتصر على الشعور بالانتماء الى الوطن بما فيه من أرض وشعب. بينما تصبح القومية انتماء الى الامة التي قد تضم عدة أوطان (دُول).

أما الانتماء الحضاري فهو أشمل من الانتماء القومي، حيث يوجد قوميات متعددة في اطار حضارة واحدة، مثلاً:

الحضارة الاوروبية: (القوميات: الفرنسية، الايطالية، الالمانية، البريطانية...)

الحضارة الاسلامية: (العرب– الفرس– الاتراك...)

الحضارة السلافية: (روسيا– اوكرانيا– بلغاريا...)

الحضارة العربية: (مجموعة الدول العربية....)

*لا يمكن للمفهوم الوطني تحقيق أهدافه بعيداً عن الاطار القومي، كما لا يمكن تحقيق المفهوم القومي بدون تحقيق المفهوم الوطني المحدد بالانتماء للارض والدفاع عنها وبناء المجتمع عليها.

**خامساً: الاثنية**

إن هذا المصطلح مشتق اساساً من الكلمة الاغريقية (ethno)، والتي تعني شعب او قوم.

وهي الانتماء الى نفس الجنس البشري من حيث النسب او الاصل، والنسل او الذرية والسلالة. مثال الارمن، اصبحوا لبنانيين ولكنهم لا يزالون يتبعون ارمينيا. أيضاً مثل الاكراد الذين يعيشون في منطقة الشرق الاوسط (لبنان، تركيا، العراق، سوريا، إيران).

يعتبر فريديريك بارث Frederic Barth من اوائل المساهمين في بلورة مفهوم ديناميكي للأثنية، فالأثنية بنظره لا تعبر عن مجموعات جامدة وثابتة بل هي تجمعات بشرية غير ثابتة، أعضاؤها يتغيرون (على المدى الزمني البعيد)، وذلك لأن عضويتها وحدودها مرتبطة بالتغيرات التي تطرأ على الاوضاع الاجتماعية. وأكد Barth أن الهوية الاثنية وتؤكد وتنتقل في نطاق التفاعل والتعامل بين صناع القرار والفرد.

رأى ماكس فيبر في الاثنية إيماناً او تصوراً جماعياً لفئة من الناس حول الاصل المشترك، فاعتبرها تعني الجماعات البشرية المؤمنة ايمانا ذاتياً بأصلها المشترك.

ويستخدم السوسيولوجي البريطاني انطوني د. سميث الكلمة الفرنسية: اثنية Ethnic ليصف جماعات تشترك في اساطير معينة عن اصلها ومنحدرها، كما انها ترتبط برقعة أرض معينة، وتمتاز في الاقل ببعض العناصر الثقافية المشتركة وبوجود احساس بالتضامن بين معظم افرادها. والوعي بالانتماء المشترك هو ما يميز الاثنية عن القوم، فالقوم جماعة ذات ثقافة مشتركة واساطير مشتركة عن الاصل، لكنها تفتقر الى التضامن كما تفتقر الى النزوع المقصود للحفاظ على حدودها المميزة.

كما يقول بانيكوس Panikos أن الاثنية Ethnicity مشتقة من كلمة Ethnos والتي تعنى كلمة أمة، وانه لا يوجد اختلاف بين الجماعة الاثنية والامة، ويقصد بها جماعة من الافراد لهم سمات مشتركة. وقد يرتبط هذا بالتساوي مع المهاجرين والأقليات والجماعات المشتتة التي تشارك نفس خصائص تركزهم الجغرافي، الزواج من اعضاء جماعتهم، وبالتالي يتم تخليد الاثنية الخاصة بهذه الجماعات بانتقالها م جيل الى جيل.

من خلال ما سبق يتضح ان مصطلح الاثنية، أنما يشير الى جماعة بشرية يشترك افرادها في العادات، التقاليد، اللغة، الدين وأي سمات اخرى بما فيها الملامح الفيزيقية للمجتمع والدولة مع جماعات اخرى.

أما الاثنية المسيسة يعرفها انطوني سميث على انها عبارة عن "جماعة يتوفر لديها احساس خاص بالتضامن" ولديها أيضاً ادراك لوجودها وخصوصيتها كما تمتلك شعوراً بالاعتزاز بالذات "ومجموعة من القيم والرموز المشتركة". وهدفها كمجموعة أثنية لها طابع سياسي ويدور حول الدولة واذا كانت قد عبرت عن نفسها عن طريق الدين، اللغة، الانتماء للأرض، العلمانية، العرق، الطبقة، او اي مركب من هذه العوامل فإنها كلها حسب سميث شكل من اشكال الاثنية المسيسة.

وتختلف الاثنية المسيسة في مسبباتها كما تختلف في مطالبها وغاياتها وتختلف في حدتها ودرجة احتقانها. فبينما يسعى الاكراد باتجاه الانفصال لا تسعى الهوية السوداء في الولايات المتحدة سوى الى تحسين وضعها العام والدفاع عن حقوقها ضمن شرعية الدولة.

وبالنسبة الى الجماعة الاثنية تعرفها الموسوعة البريطانية على انها جماعة اجتماعية او فئة من الافراد في اطار مجتمع اكبر تجمعهم روابط مشتركة من العرق، اللغة، والقومية او الثقافة.

ويعرفها Barth على أنها "جماعة من البشر تتسم بالتفاعل والاتصال فيما بين افرادها ووجود ثقافة مشتركة مميزة لها عن باقي الجماعات، ويقوم هذا التميز على عدة أسس عرقية، دينية، تاريخية هذا بالإضافة الى وجود وعي بأهداف الجماعة وأيضاً وجود اتصال بين افرادها".

ويعرفها سعد الدين ابراهيم على أنها عبارة عن جماعة بشرية يشترك افرادها في العادات، التقاليد، اللغة، الدين، واي سمات اخرى مميزة بما في ذلك الاصل والملامح الفيزيقية الجسمانية.

وعليه، فالجماعة الاثنية هي عبارة عن شعب يتكون من الافراد الذين يوصفون في فئات من قبل الشعب عامة وعادةً من قبل اعضاء الجماعة انفسهم على انها اثنية ذات طابع محدد، تظهر تاريخاً فريداً وكذلك سلوكاً مميزاً وخصائص او سمات تنظيمية وثقافية وتعمل نتيجة لذلك بطريقة مختلفة عن الاخرين.

**سادساً: العرقية**

العرقية هي اسم لكلمة عرق يستخدمها علماء السلالات البشرية والأنثروبولوجيا في تصنيف الجماعات البشرية على اساس المميزات الخلقية (الفيزيائية والفيزيولوجية) أي الطبيعية والوظيفية، مثل لون الجلد او البشرة، درجة الذكاء، السلوك... والعرق اي الاصل يقال الاري، السامي، والحامي، –الاصفر (الصين واليابان) والسادة (بني هاشم من قريش).

يفسر معجم الوسيط المعنى حيث يقول ان "العرق" هو أصل كل شيء، ويقصد به معجم المنجد "أعرق –أعراقا (عِرق الرجل) صار عريقاً في الشرف، والأعراق: هو ذو الاصل، يقال هو أعرق منك في كذا" أي أصل منك والجمع عروق وأعراق وهي اصل كل شيء.

ويذهب معجم المصطلحات السياسية الى تعريف "العرق" بأنه "مجموعة من البشر يشتركون في عدد من الصفات الجسمانية او الفيزيائية على فرض انهم يمتلكون موروثات جينية واحدة".

أما الجماعة العرقية، يختلف الباحثون بالدراسات الاجتماعية ولا سيما الانثروبولوجية فيما يتصل بمدلول عبارة الجماعة العرقية. فثمة من يقول بأن الجماعة العرقية هي ذاتها الجماعة السلالية Racial Group، وثمة من يستخدم مفهوم الجماعة العرقية كمرادف لمفهوم الامة Nation، وتذهب الجمعية الانثروبولولجية الملكية في بريطانيا لتعرف "المجموعة العرقية" على أنها "مجموعة بيولوجية تشترك في عدد محدد من الصفات الوراثية تتميز به عن غيرها من المجموعات".

إذن الجماعة العرقية هي جماعة من الناس تعيش في مجتمع أشمل (عدة دُول)، وتعتقد الجماعة بوجود روابط مشتركة تربط افرادها بعضهم ببعض، وتتمثل هذه الروابط في الاعتقاد بانحدارهم من أصل مشترك، فضلا عن اشتراكهم في خصائص ثقافية مشتركة كاللغة او الدين او التقاليد.

**سابعاً: الحضارة والثقافة**

بداية هما مفهومان متمايزان ولكنهما ليسا متعارضان أي مفهومان متداخلان يصعب التفريق بينهما.

*إن تعريف الحضارة يختلف باختلاف المنطلقات العقائدية والفكرية والفلسفية والقومية والسياسية التي ينطلق منها الباحث.

لذا ل يوجد مفهوم واحد للحضارة إنما تعريفات متعددة يجمعها قاسم مشترك فقد رأى ابن خلدون أن الحضارة غاية البداوة وهي تعتبر طوراً طبيعياً في المجتمعات. وصور تطور المجتمع بأنه انتقال من طور البداوة الى طور الملك الى طور الحضارة. أي الدور الاخير الذي يمر فيه تطور العمران الحضري.

الحضارة هي جميع مآثر الحياة المادية والفكرية والخلقية عند الاقوام من علوم وصناعات وعادات وتشكيلات. تؤدي الى تقدم البشر نحو الامام.

وقد عرفها د. أنور الجندي بأنها "تمثل التقدم المادي وطرق المعيشة والادوات التي يستخدمها افراد المجتمع، وهي تمثل بالجملة الجانب الاجتماعي الصناعي المتصل بالحياة والمجتمع... وتتكرس مع مرور الوقت لتصبح نمط حياة الجماعة".

وقد اختلط مفهوم الحضارة بمفهوم الثقافة حتى بات من الصعب التميز بينهما. لأن مفهوم الثقافة سابق على مفهوم الحضارة وهي أقدم عهداً منها، وهذا ما برز على لسان العديد من المفكرين. لاسيما في بلاد الغرب حيث حققت حضارتهم تطوراً في ميادين العلم والمعرفة.

الحضارة هي مجموعة القيم، ومجموعة من الاصلاحات الاجتماعية والاخلاقية والاختراعات الفنية التي هي مصدر رخاء ورفاهية. أما الثقافة فهي مجموعة العادات والتقاليد والمعتقدات وانماط الحياة والمعارف الانسانية من علوم وفنون تميز شعباً من الشعوب وتحدد معالم شخصيته الخاصة.

الحضارة جماعية تنسب الى مجتمع أما الثقافة فقد تكون فردية تنسب الى فرد معين او مجموعة افراد (خاصة).

الحضارة هي قمة الثقافة وغاية الثقافة والمصير الحتمي التي تؤول اليه الثقافة. أي القمة التي ينتهي اليها التطور الانساني في زمن معين.

*الحضارة إذن، أوسع من الثقافة واشمل، وقد تستوعب عدة ثقافات، فلكل مجتمع او دولة ثقافتها، اما الحضارة فلا ترتبط بمجتمع معين وهي ليست محصورة دائماً ضمن اطار دولة واحدة، وليس بالضرورة ان يكون لكل دولة او مجتمع حضارة.